

الفصل الرابع رسائل حَفْلِيَّة

١ - نفي عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الصلح:

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٣٠٨

وأنساب الأشراف ٨: ١٤٤

والتعازي والمراتي ص: ٥٩

والعقد ٣: ٣٠٩

لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ عُمَرُ إِلَىٰ جَمِيعِ عُمَّالِهِ^(١):
 «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ^(٢) كَتَبَ^(٣) عَلَيَّ خَلْقَهُ، حِينَ خَلَقَهُمُ
 الْمَوْتَ، وَجَعَلَ مَصِيرَهُمْ إِلَيْهِ. فَقَالَ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ الصَّادِقِ الَّذِي حَفِظَهُ بِعِلْمِهِ،
 وَأَشْهَدَ مَلَائِكَتُهُ عَلَىٰ حَقِّهِ: إِنَّهُ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ^(٤). ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥): ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٦)، ثُمَّ قَالَ

(١) ونسخة الرسالة في رواية البلاذري هي:

«إِنَّ اللَّهَ وَهَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَمَرَ فَمَتَّنِي بِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَمْتَعَنِي بِهِ، ثُمَّ قَبِضَهُ إِلَيْهِ، فَأَعْوَدُ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي مَشِينَةً فِي غَيْرِ مَا
 أَحَبَّ اللَّهُ. فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا أَعْلَمَنَّ مَا يَكْفِي عَلَيَّ قَبْلَكَ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ لَهُ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ».
 (أنساب الأشراف ٨: ١٤٤).

وُنُسَخَتْهَا فِي رِوَايَةِ الْمُبَرِّدِ وَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ هِيَ:

«إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَمَرَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَإِلَىٰ أَبِيهِ فِيهِ، أَعَاثَهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ قَبِضَهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ مَا عَلِمْتُ،
 وَاللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ، خَيْرًا، مِنْ صَالِحِي شَبَابِ أَهْلِ بَيْتِهِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَتَحَرُّبًا لِلْخَيْرِ. وَأَعْوَدُ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي مَحَبَّةً فِي شَيْءٍ
 مِنَ الْأُمُورِ تُخَالِفُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَخْسُنُ بِي فِي إِحْسَانِهِ إِلَيَّ، وَتَتَابِعُ نَعْمَ عَلَيَّ. وَقَدْ قَلْتُ عِنْدَ الَّذِي كَانَ بِمَا
 أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَقُولَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، ثُمَّ لَمْ أَجِدْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا أَعْلَمُ مَا بَكَتُ عَلَيْهِ بَاكِيَةً، وَلَا نَاحَتْ عَلَيْهِ
 نَائِحَةً، وَلَا اجْتَمَعَ لِدَلِكِ أَحَدٌ، فَقَدْ نَهَيْتَا أَهْلَهُ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ بِالْبَكَاءِ عَلَيْهِ».

(التعازي والمراتي ص ٥٩، والعقد ٣: ٣٠٩).

(٢) الجَدُّ: العَظْمَةُ. يُقَالُ: جَدُّ فِي عَيْنِي، أَي عَظْمٌ.

(٣) كَتَبَ عَلَيَّ خَلْقَهُ: قَضَىٰ عَلَيْهِمْ وَقَرَضَ.

(٤) هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾^(٦). (سورة مريم الآية ٤٠).

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

عَزَّ وَجَلَّ^(١): ﴿مَنْ خَلَقْتُمْ فِيهَا تُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾﴾. فالَمُوتُ سَبِيلُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ لِلْحَسَنِ وَلَا مُسِيءٍ فِيهَا خُلْدًا^(٢)، وَلَمْ يَرْضَ^(٣) بِمَا أَعْجَبَ^(٤) أَهْلَهَا فِيهَا ثَوَابًا^(٥) لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَرْضَ بِبِلَايَتِهَا^(٦) عِقُوبَةً^(٧) لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ. فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا أَعْجَبَ أَهْلَهَا، أَوْ كَرِهُوا مِنْهُ شَيْئًا مَثْرُوكًا، لِذَلِكَ خُلِقْتُ، وَلِذَلِكَ سُكِنْتُ مِنْذُ سُكِنْتُ، وَلِيَبْلُوْا^(٨) اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. فَمَنْ قَدِمَ، عِنْدَ خُرُوجِهِ^(٩) مِنَ الدُّنْيَا، إِلَى أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ^(١٠) مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَأُمَّةِ^(١١) الْهُدَى الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَقْتَدِيَ^(١٢) بِهَدَاهُمْ، خَالِدًا فِي دَارِ الْمَقَامَةِ^(١٣) مِنْ فَضْلِهِ^(١٤)، لَا يَمَسُّهُ^(١٥) فِيهَا نَصَبٌ^(١٦) وَلَا يَمَسُّهُ فِيهَا لُغُوبٌ^(١٧). وَمَنْ كَانَتْ مُفَارَقَتُهُ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَغَيْرِ مَنْزِلِهِمْ، فَقَدْ قَابَلَ^(١٨) الشَّرَّ الطَّوِيلَ، وَأَقَامَ عَلَى مَا لَا قَبِيلَ لَهُ^(١٩) بِهِ، أَسْأَلَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ^(٢٠) أَنْ يُبَيِّنَا،

(١) سورة طه: الآية ٥٥.

(٢) الخُلْدُ والخُلُودُ: دَوَامُ الْبَقَاءِ فِي دَارٍ لَا يُخْرَجُ مِنْهَا.

(٣) رَضِيَ بِالشَّيْءِ: أَحَبَّهُ وَتَقَبَّلَهُ.

(٤) أَعْجَبَ أَهْلَهَا: سَرَّهُمْ.

(٥) الثَّوَابُ: جِزَاءُ الطَّاعَةِ وَجِزَاءُ الْعَمَلِ.

(٦) بِلَاةُ الدُّنْيَا: شَرُّهَا وَأَذَاهَا وَمَكْرُوهَهَا.

(٧) الْعُقُوبَةُ: الْأَسْمُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْمَعَابَةِ، وَهُوَ أَنْ تُجْزِيَ الرَّجُلُ بِمَا فَعَلَ سُوءًا.

(٨) يَبْلُو: يَخْتَبِرُ وَيَتَمَجَّرُنْ.

(٩) خُرُوجُهُ مِنَ الدُّنْيَا: رَحِيلُهُ عَنْهَا أَوْ مُفَارَقَتُهُ لَهَا.

(١٠) رِضْوَانُ اللَّهِ: نَحْبَتُهُ وَتَقَبُّلُهُ.

(١١) أُمَّةُ الْهُدَى: أُمَّةُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرُّشَادِ.

(١٢) يَقْتَدِي بِهَدَاهُمْ: يُخْتَدِي بِاسْتِقَامَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ.

(١٣) دَارِ الْمَقَامَةِ: أَيِ الْآخِرَةِ.

(١٤) فَضْلُ اللَّهِ: خَيْرُهُ وَنِعْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ.

(١٥) يَمَسُّهُ: أَصَابَهُ وَنَزَلَ بِهِ. يُقَالُ: مَسَسْتُ الشَّيْءَ، إِذَا لَمَسْتَهُ بِيَدِكَ، ثُمَّ اسْتَعْبِرَ لِأَخْذِهِ وَالضَّرْبِ، لِأَنَّهَا بِالْيَدِ.

(١٦) النَّصَبُ: الْإِعْيَاءُ مِنَ الْعَنَاءِ، أَوْ التَّعَبِ.

(١٧) اللَّغُوبُ: التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ.

(١٨) قَابَلَ: لَقِيَ وَوَاجَعَ.

(١٩) فِي الْأَصْلِ: «لَا قَبِيلَ لَدَيْهِ»، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ص: ٣٠٨، وَلَا قَبِيلَ لَهُ بِهِ: أَيِ لَا

طَاقَةَ لَهُ بِهِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى مَقَاوِمِهِ.

(٢٠) الرَّحْمَةُ فِي بَنِي آدَمَ عِنْدَ الْعَرَبِ: رِقَّةُ الْقَلْبِ وَعَطْفُهُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ: عَطْفُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرِزْقُهُ.

ما أبقانا في الدنيا، مُطِيعِينَ لِأَمْرِهِ، مُتَّبِعِينَ^(١) لِكِتَابِهِ، وَيَجْعَلُنَا، إِذَا خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَى نَيْبِنَا، وَمَنْ أَمَرَ أَنْ يُقْتَدَى بِهَدَاهِم مِّنَ الْمُصْطَفَيْنِ^(٢) الْأَخْيَارِ^(٣)، وَأَسْأَلُهُ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يَقِينَا^(٤) أَعْمَالَ السُّوءِ^(٥) فِي الدُّنْيَا، وَالسَّيِّئَاتِ^(٦) يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَى أَبِيهِ فِيهِ، أَعَاشَهُ اللَّهُ مَا أَحَبَّ أَنْ يُعِيشَهُ، ثُمَّ قَبَضَهُ^(٧) اللَّهُ حِينَ أَحَبَّ أَنْ يَقْبِضَهُ، وَهُوَ فِيمَا عَلِمْتُ بِالْمَوْتِ مُعْتَبِطٌ^(٨)، وَيَرْجُو فِيهِ مِنَ اللَّهِ رَجَاءً حَسَنًا فَأَعُوذُ^(٩) بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ لِي مَحَبَّةٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ تُخَالِفُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ، فَإِنَّ خِلَافَ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ فِي بِلَايِهِ^(١٠) عِنْدِي، وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ، وَنِعْمَتِهِ^(١١) عَلَيَّ. وَقَدْ قُلْتُ عِنْدَ مَا كَانَ فِي سَبِيلِهِ^(١٢): أُوْحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا رَجَوْتُ بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ الْحَسَنَ: وَمَوْعُوْدَهُ^(١٣) الصَّادِقَ^(١٤) مِنَ الْمَغْفِرَةِ^(١٥)، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ لَمْ أَجِدْ فِي نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا خَيْرًا. مِنْ رِضَاً بِقَضَاءِ^(١٦) اللَّهِ تَعَالَى، وَاحْتِسَابِ^(١٧) لِمَا كَانَ مِنَ الْمُصِيبَةِ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَلَى مَا مَضَى. وَعَلَى مَا بَقِيَ، وَعَلَى كُلِّ

(١) مُتَّبِعِينَ لِكِتَابِهِ: مُؤْتَمِرِينَ بِهِ عَامِلِينَ بِمَا فِيهِ.

(٢) الْمُصْطَفُونَ: الْمُخْتَارُونَ، يُقَالُ: هُم مِّنَ الْمُصْطَفَيْنِ إِذَا اخْتِيرُوا، وَهُم الْمُصْطَفُونَ إِذَا اخْتَارُوا.

(٣) الْأَخْيَارُ: جَمْعُ خَيْرٍ وَخَيْرٍ، وَهُوَ الْفَاضِلُ الصَّالِحُ.

(٤) وَقَاهُ: صَانَهُ وَسَوَّرَهُ، أَوْ حَفِظَهُ وَمَنَعَهُ.

(٥) السُّوءُ: الشَّرُّ وَالْفُجُورُ وَالْمُنْكَرُ.

(٦) السَّيِّئَاتِ: جَمْعُ سَيِّئَةٍ، هِيَ الْخَطِيئَةُ وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ.

(٧) قَبِضَ فُلَانٌ: مَاتَ. وَقَبَضَهُ اللَّهُ: أَمَاتَهُ.

(٨) مُعْتَبِطٌ بِالْمَوْتِ: مَسْرُورٌ بِهِ، مِّنَ الْغَيْظَةِ، وَهِيَ النُّعْمَةُ وَالسُّرُورُ. وَالِاغْتِبَاطُ: شُكْرُ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَأَفْضَلَ وَأَعْطَى.

(٩) أَعَاذَ بِاللَّهِ: لَازَ بِهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ.

(١٠) بِلَايَةُ اللَّهِ: إِتِمَامُهُ وَإِحْسَانُهُ.

(١١) النُّعْمَةُ: الْخَفْضُ وَالذِّعَّةُ وَالْمَالُ.

(١٢) فِي سَبِيلِهِ: فِي السِّيَاقِ، أَي التَّرَجُّعِ وَالِاخْتِصَارِ.

(١٣) الْمَوْعُودُ: الْوَعْدُ. يُقَالُ فِي الْخَيْرِ: الْوَعْدُ وَالْعِدَّةُ. وَفِي الشَّرِّ: الْإِبْعَادُ وَالزَّعِيدُ.

(١٤) الصَّادِقُ: الْمُحَقَّقُ.

(١٥) الْمَغْفِرَةُ: التُّغْفِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعَفْوُ عَنْهَا.

(١٦) قَضَاءُ اللَّهِ: حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ.

(١٧) الْإِحْتِسَابُ: طَلَبُ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحْسَنَتْهُ». أَي أَحْسَبَ الْأَجْرَ بِصَبْرِهِ عَلَى

مُصِيبَتِهِ بِهِ، مَعْنَاهُ اغْتَدَّ مُصِيبَتَهُ بِهِ فِي جَمَلَةٍ بِلَايَا اللَّهِ الَّتِي يُتَابَعُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا. (اللسان: حسب).

حالٍ من أمر الدنيا والآخرة أَحَبُّتُ أَنْ أُعْلِمَكُم بِذَلِكَ ، وَأَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهِ . فَلَا أُغْلَمُ مَا أُنَبِّحُ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا قَبْلَكَ ، وَلَا اجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا رَخَّضْتُ^(١) لِقَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا لِبَعِيدٍ . وَكَفَنِي^(٢) ذَلِكَ بِكَفَايَةِ اللَّهِ ، وَلَا أَلْوَمْتُكَ فِيهِ^(٣) إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .»

٢ - تَغْرِيبَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِي أَمَامَةَ الْجَنْصِيِّ بِاسْتِشْهَادِ ابْنِ لَهُ :

أنساب الأشراف ٨ : ١٥٤

والتعازي والمراثي ص : ٥٩

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي أَمَامَةَ الْجَنْصِيِّ يُعْزِيهِ بِابْنِ لَهُ اسْتِشْهَادًا :
 «أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى آيَاتِهِ^(٤) وَقَضَائِهِ^(٥) ، وَقَدْ بَلَغَنِي الَّذِي سَأَقِ اللَّهَ إِلَى
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَمَامَةَ مِنَ الشَّهَادَةِ ، فَقَدْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا مَأْمُونًا^(٦) ، وَأَفْضَى^(٧) إِلَى
 الْآخِرَةِ شَهِيدًا ، فَقَدْ فَازَ^(٨) بِمَا حَصَّ^(٩) اللَّهُ بِهِ الشُّهَدَاءَ مِنَ الْفَضِيلَةِ^(١٠) ،
 وَالكَرَامَةِ^(١١) ، فَلَيْسَ شَيْءٌ نَعْلَمُهُ ، وَإِنْ عَظُمَ^(١٢) خَطَرُهُ^(١٣) وَجَلَّ^(١٤) ثَوَابُهُ^(١٥) ،

(١) رَخَّضَ لَهُ فِي الْأَمْرِ : أَدْنَى لَهُ فِيهِ بَعْدَ التَّهْيِ عَنْهُ .

(٢) كَفَنَهُ الْأَمْرَ : قَامَ فِيهِ مَقَامَهُ وَأَعْتَى عَنْهُ . الْكَفَايَةُ : الْغَنَاءُ وَالنَّفْعُ وَالْإِجْرَاءُ ، وَكَفَايَةُ اللَّهِ : قُدْرَتُهُ .

(٣) لَامَةٌ : عَدَلُهُ .

(٤) الْآيَاتُ : التَّعْلِيمُ ، وَاحِدُهَا آيَةٌ بِالْفَتْحِ ، وَالْيَاءُ وَالنُّونُ .

(٥) قَضَاءُ اللَّهِ : حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ .

(٦) الْمَأْمُونُ : الْمُؤْتَمَنُ الْمُؤْتَوَّقُ .

(٧) أَفْضَى : صَارَ . وَالْإِفْضَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ : الْإِنْتِهَاءُ .

(٨) فَازَ : ظَفِرَ .

(٩) حَصَّ بِالشَّيْءِ : وَاحْتَصَّهُ بِهِ : أَنْزَدَهُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ .

(١٠) الْفَضِيلَةُ : الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ فِي الْفَضْلِ .

(١١) الْكَرَامَةُ : الْعِزَازَةُ .

(١٢) عَظُمَ : كَبُرَ .

(١٣) الْخَطَرُ : الْقَدْرُ .

(١٤) جَلَّ : عَظُمَ وَكَبُرَ .

(١٥) الثَّوَابُ : جِزَاءُ الطَّاعَةِ وَجِزَاءُ الْعَمَلِ .

أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِنْدَ عِبَادِهِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ مِنَ الشَّهَادَةِ، فَمَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا فَقَدْ أَفْلَحَ ^(١) وَأَنْجَحَ ^(٢) وَرَبِحَ ^(٣)، وَوَسَّمَهُ ^(٤) اللَّهُ سِمَةً ^(٥) الْأَبْرَارِ ^(٦)، فَهُوَ فِي جِوَارِ ^(٧) اللَّهِ وَتَحْتَ عَرْشِهِ ^(٨)، وَقَدْ انْقَطَعَتْ ^(٩) عَنْهُ مَرَارَةٌ ^(١٠) الدُّنْيَا وَعِلَاجُهَا ^(١١)، وَصَارَ إِلَى عَيْشِ الْآخِرَةِ وَحُبُورِهَا ^(١٢)، نَسَأَلَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ نَوَاصِي ^(١٣) الْعِبَادِ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ الشَّهَادَةَ وَالسَّعَادَةَ ^(١٤) بِقُدْرَتِهِ، وَالسَّلَامُ».

٣ - تَغْزِيَةُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بَابِنَه:

حلية الأولياء ٥ : ٢٦٦

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص : ٢٥٠

(١) أَفْلَحَ : صار إلى الفلاح، وهو الفوزُ والنَّجاةُ والبقاءُ في التَّعَمُّمِ والخير.

(٢) أَنْجَحَ : صار ذا نَجْحٍ، وهو الظَّفَرُ بالشَّيْءِ، أو إِذْرَاكُ الْحَاجَةِ وَالطَّلِبَةِ.

(٣) رَبِحَ : غَنِمَ وَكَسِبَ.

(٤) وَسَّمَهُ : أَثَّرَ فِيهِ بِسِمَةٍ وَكَيْ. والمرادُ عَلَّمَهُ وَعَرَّفَهُ .

(٥) السِّمَةُ : الْعِلَامَةُ.

(٦) الْأَبْرَارُ : جَمْعُ بَرٍّ، وَهُوَ الصَّالِحُ الْخَيْرِ الصَّادِقُ.

(٧) جِوَارُ اللَّهِ : نَاحِيَتُهُ وَكُنْفَتُهُ. والمرادُ رَحْمَتُهُ وَلَطْفُهُ وَعَطْفُهُ.

(٨) الْعَرْشُ : مَجْلِسُ الرَّحْمَنِ. وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. (سورة الأعراف : الآية ٥٤). وَلَطْفَةُ الْعَرْشِ

مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، فَالْعَرْشُ : سَرِيرُ الْمَلِكِ. وَالْعَرْشُ : السُّفْفُ. وَكُلُّ مَا عَلَا وَأَطَّلَ فَهُوَ عَرْشٌ. وَالْعَرْشُ : الْمَلِكُ

وَالسُّلْطَانُ وَالْعِزُّ. (البحر المحيط ٤ : ٣٠٧).

(٩) انْقَطَعَتْ عَنْهُ : ذَهَبَتْ وَزَالَتْ.

(١٠) الْمَرَارَةُ : الْأَسْمُ مِنْ مَرَّ الشَّيْءُ إِذَا صَارَ مَرًّا. وَعَيْشٌ مَرٌّ : عَلَى الْمَثَلِ، أَي شَدِيدٌ ضَيِّقٌ. والمرادُ شِدَّةُ الدُّنْيَا وَمَشَقَّتُهَا.

(١١) الْعِلَاجُ : الْمُقَاسَاةُ وَالْمَعَانَاةُ وَالْمُكَابَدَةُ.

(١٢) الْحُبُورُ : السُّرُورُ.

(١٣) النَوَاصِي : جَمْعُ نَاصِيَةٍ، وَالنَّاصِيَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَثَبُ الشَّعْرِ فِي مُقَدِّمِ الرَّاسِ، لَا الشَّعْرُ الَّذِي تُسَبِّعُهُ الْمَاءُ النَّاصِيَةَ،

رُسْمِي الشَّعْرِ نَاصِيَةٌ لِتَبَايُوهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. وفي التَّنْزِيلِ : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾. (سورة هود :

الآية ٥٦). قَالَ الرَّجَاجُ : مَعْنَاهُ فِي قُبُضَتِهِ تَنَالَهُ بِمَا شَاءَ قُدْرَتُهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ لَا يَشَاءُ إِلَّا الْعَدْلُ. (اللسان : نصاب).

وَقِيلَ : وَصَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمَ مُلْكِهِ مِنْ كَوْنِ كُلِّ دَابَّةٍ فِي قُبُضَتِهِ وَمُلْكِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِيهِ، فَانْتَمَ مِنْ جُمْلَةِ

أَوْلِيكَ الْمَقْهُورِينَ. وَقَوْلُهُ : ﴿آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ : تَمَثَّلُ إِذَا كَانَ الْقَادِرُ الْمَالِكُ يَقْوَى الْمَقْدُورَ عَلَيْهِ بِنَاصِيَتِهِ كَمَا يَقَادُ الْأَسِيرَ

وَالْفَرَسَ بِنَاصِيَتِهِ. حَتَّى صَارَ الْأَخْذُ بِالنَّاصِيَةِ عُرْفًا فِي الْقُدْرَةِ عَلَى الْحَيَوَانَ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَجْرُ نَاصِيَةَ الْأَسِيرِ الْمَثُونِ

عَلَيْهِ عِلَامَةً أَنَّهُ قُدِرَ عَلَيْهِ وَقُبِضَ عَلَى نَاصِيَتِهِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَخَصَّ النَّاصِيَةَ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَصَفَتْ إِنْسَانًا بِالذَّلَّةِ

وَالخَضُوعِ قَالَتْ : مَا نَاصِيَةَ فَلَانٍ إِلَّا بِيَدِ فَلَانٍ، أَي أَنَّهُ مَطِيعٌ لَهُ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ. (البحر المحيط ٥ : ٢٣٤).

(١٤) السَّعَادَةُ : التَّعَمُّمُ.

كُتِبَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ يُعَزِّيه فِي ابْنِهِ:
 «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، سَكَنَّا الدُّنْيَا، أَمَوَاتٌ أَبْنَاءُ أَمَوَاتٍ.
 وَالْعَجَبُ^(١) لِمَيْتٍ يَكْتُبُ إِلَى مَيْتٍ، يُعَزِّيه^(٢) عَنْ مَيْتٍ. وَالسَّلَامُ!»

(١) الْعَجَبُ: إنكارٌ ما يَرُدُّ عَلَيْكَ لِقَلَّةِ اعْتِيَادِهِ. وَقِيلَ: أَضْلُ الْعَجَبِ فِي اللُّغَةِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا يُنْكَرُهُ وَيَقِيلُ مِثْلَهُ قَالَ:
 عَجِبْتُ مِنْ كَذَا.

(٢) عَزَّاهُ: أَسَّاهُ، أَي صَبَّرَهُ.